برنامج إيران النووي: مخاطر التصعيد وفرص التهدئة!

13-6-2003

إن التوتر "المثلثي" بين واشنطن وطهران وموسكو من المحتمل أن يستمر، حيث ستواصل روسيا مساعدة إيران وتهمل الضغط الأمريكي لأطول فترة ممكنة، وستواصل طهران استعمال الدبلوماسية لإلهاء الولايات المتحدة، بينما تتابع أهدافها النووية. وينتظر الآن، كيف سترد واشنطن، وقد ذكرت التقارير أن وزارة الدفاع الأمريكية اقترحت تشجيع إنتفاضة داخلية ضد الحكومة الإيرانية "المتشددة". لكن أمريكا لا تبدو جاهزة لفتح جبهة ثالثة في حربها لإحداث التغيير في النظام، على الأقل ليس الآن.

خلال الأسابيع الماضية، أطلق المسؤولون الروس تصريحات متعارضة حول الاتفاقية لمساعدة إيران في بناء مفاعل بوشهر النووي. وظهرت موسكو بموقفين ظاهرهما التعارض، فمن جهة أبدت نوعا من الخضوع للضغط الأمريكي بالتوقف عن مساعدة برنامج طهران النووي، ومن جهة أخرى، أعلنت التزامها بالمحافظة على العلاقة مع طهران، على الرغم من استياء واشنطن لهذا. وفي خضم هذا، أصدرت إيران عدة بيانات، وأدرك كلا الجانبين (إيران وروسيا) أنه لا مناص من التكيف مع مطالب الولايات المتحدة، لكن في الوقت نفسه، فإن كلا منهما يحاول انتزاع أقصى ما يمكن من المكاسب في الوضع الراهن. كما طمأنت روسيا أمريكا وأوروبا بأنها سوف لن تساعد على بناء مفاعل بوشهر إلى أن تطابق مواقع إيران النووية مواصفات الوكالة الدولية للطاقة الذرية. بينما طمأن آخرون طهران بأن صفقة بوشهر - التي تُدر على موسكو بـ 1$ بليون– ستشهد تقدما.

ولم تسلم المواقف الإيرانية على ما يبدو من تناقضات أيضا، حيث رفضت بثبات الإدعاءات الأمريكية بأن إيران تخفي برنامج تسلح تحت غطاء مشروع طاقة نووي للإستعمال المدني. لكن في الوقت نفسه، اعترف مسؤولون في طهران بأنهم لم يكشفوا عن بعض التفاصيل حول العمليات النووية إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية (IAEA). ولم تتردد الولايات المتحدة في مطالبة إيران بأن تنصرف عن المحاولات لإنتاج أسلحة الدمار الشامل وكذا روسيا لمنع أي مساعدة لبرنامج تسلح إيراني. لكن لا أحد من الجانبين سينجز كل أهداف واشنطن بسهولة في هذه القضية. وإن السؤال الرئيسي الذي يفرض نفسه بإلحاح : ما هو الاتفاق الذي يحاول كل طرف الوصول إليه؟.

موقع روسيا في هذا المثلث ليس حرجا، إذ أن هدفها من تسهيل حصول إيران على الأسلحة الذرية، اقتصادي بالدرجة الأولى، فموسكو في حاجة ملحة للنقد، ولا تهتم بكبح جماح القوة الأمريكية، و ليس مؤكدا أن روسيا ستستمر في متابعة صفقة بوشهر إلى النهاية. ومن المتوقع أن تهمل موسكو التحذيرات من الولايات المّحدة ما وسعها ذلك، وستحاول تحقيق جني أقصى ما يمكن من أموال من مساعدتها لإيران - بينما ستحاول إضعاف موقع واشنطن أيضا - إلى أن يجبره الضغط الأمريكي على التوقف. كما أن روسيا ليس بمقدورها مقاومة ضغط الولايات المتحدة بشكل غير محدد.

وتدرك إيران حدود هذه اللعبة، لذا، ستحاول أن تحقق تقدما في برنامجها النووي، لكن في النهاية، ستعمل على تجنب أي هجوم أمريكي، وفي الوقت نفسه، فإن النظام الحاكم في طهران يشعر أن سيادته مهددة بوجود القوات الأمريكية في شرقه وغربه. ومن المحتمل أن إيران ترى أن أمنها مرتبط بامتلاك أسلحة الدمار الشامل.

وتستخدم طهران مزيجا من الخطط الدفاعية والهجومية لتجنب الهجوم الأمريكي. وقد حاول المسؤولون الإيرانيون مؤخرا إعادة الكرة إلى ملعب الولايات المتحدة، بمطالبة واشنطن تقديم دليل حي على أن مساعي تطوير طهران لبرنامجها النووي تنقصه الشفافية، وندد الإيرانيون أيضا من أن الولايات المتحدة تستعمل معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية بشكل انتقائي. موقع واشنطن منحاز: مهما كانت الظروف، فإن ما تقوم به إيران لاكتساب الأسلحة النووية، يمكن أن يهدد المصالح الأمريكية في منطقة "الشرق الأوسط". وأهداف طهران واضحة : لا تريد إثارة العداوات مع الولايات المتحدة، ولكنها لا ترغب في التخلي عن برنامجها النووي ، وتخاطر باحتمال نجاحه على المدى الطويل. وتتلاقى مصالح كل من روسيا و إيران: من خلال التعاون، يأملان في فحص قدرة الولايات المتحدة على التصرف من طرف واحد. وعليه، فإن التوتر "المثلثي" بين واشنطن وطهران وموسكو من المحتمل أن يستمر، حيث ستواصل روسيا مساعدة إيران وتهمل الضغط الأمريكي لأطول فترة ممكنة، وستواصل طهران استعمال الدبلوماسية لإلهاء الولايات المتحدة، بينما تتابع أهدافها النووية. وينتظر الآن، كيف سترد واشنطن، وقد ذكرت التقارير أن وزارة الدفاع الأمريكية اقترحت تشجيع إنتفاضة داخلية ضد الحكومة الإيرانية "المتشددة". لكن أمريكا لا تبدو جاهزة لفتح جبهة ثالثة في حربها لإحداث التغيير في النظام، على الأقل ليس الآن.